

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 23

الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم

المبحث: سورة لقمان

التاريخ: 23\11\2021 م

كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني

ما زال البحث في قوله تبارك وتعالى في الآية الثانية عشر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾¹ كان الكلام في الوقفة الثالثة في الحديث عن لقمان من هو؟

ونلاحظ من أمين الإسلام الطبرسي أشار بشكل واضح إلى مجموعة من الاختلافات الواقعة في لقمان، فقال: اختلف في لقمان، فقيل: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين [ذهبوا إلى أنه حكيم وليس نبياً]² وقيل: أنه كان عبداً أسوداً حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داوود عليه السلام. وقال له بعض الناس ألسنت كنت ترعى [الغنم] معنا فقال نعم، قال: فمن أين أوتيت ما أرى؟ [يعني الحكمة؟] قال: [قدر الله] وأداء الأمانة وصدق حديث والصمت عما لا يعنيني [هذه التي أوجبت له نيل هذا المقام] وقيل: إنه كان ابن أخت أيوب عن وهب. وقيل: ابن خالة أيوب عن مقاتل³. وروي⁴ عنه صلى الله عليه وآله: لم يخلق لقمان نبياً، ولكنه كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنّ عليه بالحكمة.

كأنه بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يحسم النزاع، والمعروف بين علمائنا وفي الروايات المقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن لقمان لم يكن نبياً، ولعل هذا يستفاد من القرآن الكريم

¹ لقمان 12

² وقيل إنه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي وفسروا الحكمة هنا بالنبوة.

³ مجمع البيان في تفسير القرآن، ج8، ص: 493

⁴ روي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ص يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً و لكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إن خيرني ربي قبلت بالعافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم أنه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وأكدها يغشاها الظلم من كل مكان إن وقى فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من أن يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يختار الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوازر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى.

حيث إن القرآن داوم على ذكر - نعبر بهذا التعبير - أنبياء الشرق الأوسط، وإلا فإن القرآن الكريم لم يذكر أنبياء مثل الصين ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁵ تلك البلاد البعيدة كان فيها بشر، وكان فيها تكليف، فلا بد من وجود أنبياء، في الأعم الأغلب أشار القرآن الكريم وداوم على ذكر الأنبياء الذين هم قريبين من الجزيرة العربية؛ لأن ذكرهم كان أما لتسليّة قلب النبي صلى الله عليه وآله وإما لأخذ العبرة والموعظة والاستفادة من مما وقع مع الأنبياء وما شابه ذلك، فكان الأنسب أن تذكر الأنبياء الذين لهم أتباع في منطقتنا، ولقمان عليه السلام كان في هذه المنطقة، ولم يذكر في الآيات التي سردت الأنبياء وذكر في القرآن، لكن بعنوان أنه حكيم، ففي هذا الأمر اشعار بأن لقمان عليه السلام لم يكن نبياً. كذلك الروايات الواردة عن أئمة الهدى عليه السلام تدل على ذلك صراحة واشعاراً.

على كل تقدير معرفة هذه الهوية لا تضر ولا تقدم ولا تؤخر فيما يرتبط بتفسير هذه الآيات.

الوقف الرابع: ترتبط بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هي الحكمة؟ هل يراد من الحكمة معناها الاصطلاحي المعادل لكلمة الفلسفة؟ نحن نعرف بأن كلمة الفلسفة بالأصل ليست عربية، وإنما مأخوذة من الأمم السابقة، فعربت. أما كلمة الحكمة فهي في الأساس كلمة عربية. فيرى جملة من العلماء والمفسرين أن المقصود من الحكمة ما يعادل الفلسفة، فهل الأمر كذلك أم لا؟ هل المقصود من قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ وكذلك الآية الواردة في سورة البقرة قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁶ هل المقصود من ذلك هو ذلك العلم الذي يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر - كما هو تعريف الفلسفة - أم أن المقصود شيء آخر؟ الحكمة في اللغة العربية وفي العرف العربي مأخوذة من الحكم، الحاء والكاف والميم، ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، يرى أن هذه الحروف لها أصل واحد، وكل اشتقاقاتها واستعمالاتها ترجع إلى أصل واحد، والأصل هو المنع، ولذلك يقال لحكمت الدابة حكمة؛ لأنها تمنعها عن الخروج إلى المكان الذي لا يريده راکبها الذي يضرب فيها الدابة، كي يمنعها عن التوجه يمينا أو يساراً، يقال لها حكمة لأنها تمنع. وفي الشعر عن جرير الشاعر يقول:

⁵ الإسراء 15

⁶ البقرة 269

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم إنني أخاف عليكم أن أغضبوا

أي امنعوا عني سفهائكم، ويقول الحكم يرجع إلى هذا الأصل؛ لأنه يمنع عن الظلم، والحكمة المعروفة أيضاً ترجع إلى هذا الأصل؛ لأنها تمنع عن الجهل والسفاهة، فيرجع تمام هذه الاشتقاقات إلى معنى واحد، وهو المنع.

لكن كما تعرفون أن ما يذكره ابن فارس وطريقة ابن فارس في معجم المقاييس من إرجاع الاستعمالات إلى أصل واحد، لا يدل ذلك على أن الحكمة بمعنى المنع، بل هذه الطريقة التي يذكرها ابن فارس في الواقع ترجع إلى استعمالات في اللوازم لعلاقتها مع الملزوم، فهنا الملزوم هو المنع، واطلقت على الحكم الذي هو القضاء بين الناس؛ لما يلزم ذلك من المنع، والحكمة أيضاً بمعناها العرفي من هذا القبيل، لا أن الحكمة معناها المنع.

على كل تقدير، جملة من المفسرين وشراح الأحاديث ينون على أن الحكمة في هذه الآية تساوي وتعادل الفلسفة، ويقصد من الحكمة علم الحكمة. وهكذا فعل الملا صدرا رحمة الله عليه في شرحه على أصول الكافي.

الشارح المازندراني لم يرتض تفسير الحكمة بما يعادل الفلسفة، وذهب ونحى منحاً أن الفلسفة بمعناها العام يشمل تدبير المنازل، هي من الفلسفة، الفلسفة بمعناها العام تشمل الرياضيات، تشمل الكيمياء، تشمل الفيزياء، هذه كلها داخلية في الفلسفة بالمعنى العام، فهل هذا يعني أن لقمان الحكيم أوتي علم الرياضيات أيضاً، فلم يرتض ذلك إلى أن خصص الحكمة بنوع من الفلسفة. لكنه ما زال يدور في هذا الفلك، لكننا إذا رجعنا إلى العرف وإلى الروايات نجد أن الحكمة هي شيء آخر، وليست هي الفلسفة، البعض من ادعى في زماننا الفلسفة والتفلسف، وأنه هو أم الصبي في الفلسفة، بل في عصور أيضاً قريبة من عصرنا، لا حكمة لهم ولا شيء من هذا القبيل، الفلسفة كاصطلاحات شيء والحكمة شيء آخر، عندما يقال في العرف فلان صاحب حكمة، أي: أنه يفكر في عواقب الأمور وفي نتائجها ويتبصر بها قبل أن يعمل، هذا يقال فلان حكيم، هذا المقصود من الحكمة، وإذا رجعنا إلى روايات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام نجد مجموعة من الخصائص تستفاد للحكمة، فالحكمة في روايات أهل البيت عليهم السلام تضيء الطريق على سالكه، كما ورد في نهج البلاغة: (لَمْ يَسْتَضِيُوا

بَأْضَوَاءِ الْحِكْمَةِ)⁷. والحكمة أيضاً في روايات أهل البيت هي حياة للقلوب وبصر للعيون، ففي النهج أيضاً: (وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ [يعني القلب بدون حكمة ميت] وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ وَرِيٌّ لِلظُّمَأْنِ وَفِيهَا الْغَنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ)⁸. وفي بعض الروايات أيضاً الحكمة تساعد على أخذ العبرة، فعن أمير المؤمنين: (وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ)⁹. وفي بعض الروايات أن الحكمة ضالة المؤمن¹⁰، وقد تصدر الحكمة حتى من المنافق، فبهذا المعنى الحكمة هي الكلام الذي يصدر ويكون مصيباً للحق؛ لكونه عن فكر وروية وتدبر في العواقب، ففي الخبر (وَقَالَ ع خُذْ الْحِكْمَةَ أَنِّي كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَخْلُجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ)¹¹. وفي موضع آخر يقول وقال الأمير عليه السلام: (... وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ)¹².

من خصائص الحكمة أن أهل الحكمة يستمعون القول فيتبعون أحسنه، مجرد معرفة الاصطلاحات الفلسفية والقواعد الفلسفية والنظريات الفلسفية لا تجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، سواء الفلسفة بالمعنى الأعم أم الفلسفة بالمعنى الأخص، سواء استطعت أن أميز بين الوجود والماهية وأن الأصل هو الوجود أو الماهية، وأن الوجود مشترك معنوي، وأنه لا يتثنى ولا يتكرر، هذه الخصائص التي تذكر في أحكام الوجود، أم اتضحت لي المقولات العشر، وما هي المميزات بينها، وعرفت صفات العلم وخصائص العلم، وأقسام التقابل إلى أن أصل إلى الفلسفة بالمعنى الأخص، فالكثير من العصاة ولو براهين بسيطة يعتقدون بوجود الخالق، ويؤمنون بصفاته، ولكن مع ذلك هم من العصاة، ولم يتنوروا بنور الحكمة. فإذا من خصائص الحكمة أن أهلها يستمعون القول فيتبعون أحسنه، في كتاب الكافي في حديث طويل عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام: (يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْنِي عَقْلٌ وَقَالَ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ قَالَ أَلْفَهُمْ وَالْعَقْلُ)¹³ القلب لوحده عقل، أما الحكمة هي فهم وعقل، الكثير من لديهم عقول،

⁷ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص: 156

⁸ نهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص: 192

⁹ روضة الواعظين و بصيرة المتعظين (ط - القديمة)، ج 1، ص: 43

¹⁰ سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُمَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ضَالَّتَهُ فَلْيَأْخُذْهَا.

¹¹ بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج 2، ص: 99

¹² نزهة الناظر و تنبيه الخاطر، ص: 42 ونهج البلاغة (للصبيحي صالح)، ص: 481

¹³ الكافي (ط - الإسلامية)، ج 1، ص: 16

لكن في الوقت المناسب لا يعملونها، فتزل أقدام أقدامهم، بينما الحكيم هو من له عقل وفهم، يعمل هذا العقل ويصل من خلاله إلى الحق، وفي مستهل الرواية نفسها يقول: (يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ [والمفروض الحكمة عقل وفهم] كِتَابَهُ فَقَالَ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [لو كان عقل لوحده يستمعون القول فيدركون معناه، أما لأنهم أيضاً من أهل الفهم فيتبعون أحسنه] أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)¹⁴ والأشياء تعرف بأضدادها، ففي الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام يقول: (وَالْحِكْمَةُ وَضِدُهَا الْهَوَى)¹⁵ والأمور تعرف بأضدادها، الهوى في الواقع عبارة عن اتباع النفس واتباع الشهوات الباطلة، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾¹⁶ يعني لا عن رغباته وشهواته النفسانية وأموره الخاصة، في مقابل الهوى الحكمة، أي: يتبع العقل والمنطق والصواب والفهم وما يريده الله تبارك وتعالى، لا ما تريده النفس بشهواتها وغرائزها. فإذن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ المقصود من الحكمة التي أعطيت للقمان وصار من خلالها لقمان الحكيم أنه أعطي العقل والفهم والبصيرة والتدبر في عواقب الأشياء بحيث إنه من خلال ذلك يصل إلى الصواب ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾¹⁷ للأسف أنا بنفسني شاهدت في بعض الجلسات من يقرن هذه الآية بالفلسفة، ثم يضرب على صدره، أنه هو من أوتي الحكمة، نسأل الله سبحانه وتعالى العاقبة الحسنة.

¹⁴ الكافي (ط - الإسلامية)، ج 1، ص: 13

¹⁵ بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج 1، ص: 111

¹⁶ النجم 3

¹⁷ البقرة 269